

**الملتقى الدولي: الإساءة إلى المقدسات الإسلامية بين سياقات حرية
التعبير وخطاب الكراهية 29/28 ديسمبر 2021**

مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة، الأغواط، الجزائر
**الإساءة للمقدسات الإسلامية...دراسة في التداعيات السياسية وآليات
تجاوزها**

Insulting Islamic sanctities...a study in political repercussions and
the mechanisms for overcoming them

عبد الجبار جبار¹، الطيب بوهلال²

¹ جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، الجزائر، a.djebbar@univ-chlef.dz

² جامعة زيان عاشور، الجلفة، الجزائر، davidsas16@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2022/05/12 تاريخ القبول: 2022/09/07 تاريخ النشر: 2022/10/01

الملخص:

بالرغم من إدراك المجتمع الدولي لمكانة الدين الإسلامي وحساسيته لدى المسلمين، إلا أن الدول الغربية تشهد انتهاكات متكررة للمقدسات الدينية الإسلامية، ضمن حملات ممنهجة وشاملة للعديد من الأصعدة، متجاهلةً للانعكاسات الخطيرة التي تترتب عن ذلك طالما ساهمت هذه الانعكاسات في تعزيز الكراهية للإسلام -الإسلاموفوبيا- في المجتمعات الغربية، وهو ما يستدعي ضرورة التصدي لمثل هذه الحملات على المستوى الحكومي الرسمي، الأمر الذي يحقق الحد من الانتهاكات للمقدسات الإسلامية من جهة، وكذا توقيف ردود الأفعال الشعبية الغاضبة والعنيفة من جهة ثانية.

الكلمات المفتاحية: المقدسات الإسلامية؛ المقاطعة؛ الاحتجاجات؛ حرية التعبير؛
الإسلاموفوبيا.

Abstract:

Despite the international community's awareness of the status of the Islamic religion and its sensitivity among Muslims, Western countries witness repeated violations of Islamic religious sanctities, as part of systematic and comprehensive campaigns in many levels, ignoring the serious repercussions that result from that as long as these repercussions contribute to strengthening the Islamophobia in Western societies, which calls for the need to confront such campaigns at the official governmental level, which achieves a reduction in violations of Islamic sanctities on the one hand, as well as stopping angry and violent popular reactions on the other hand.

Keywords: Islamic sanctities, boycotts, protests, freedom of speech, Islamophobia.

مقدمة:

يُعتبر الدين ظاهرةً اجتماعيةً عرفت البشرية على مر العصور، حيث يحظى بمكانة هامة في الوعي الجمعي للأفراد، بحيث يمنحهم الاستقرار الروحي والنفسي، كما أنه يحدد الأطر العامة للسلوك الاجتماعي، باعتباره يُكرس لمفهوم المقدسات الدينية التي ينبغي احترامها وعدم تجاوزها، وهذا ما يجعل من الانتهاكات الدينية والمساس بالمقدسات سلوكاً مرفوضاً، وقد يترتب عنه ردود أفعال قوية تناسب ومكانة الدين في وعي الأفراد.

بالرغم من إدراك المجتمع الدولي لمكانة الدين وحساسيته لدى المعتقدين به، إلا أن العالم يشهد انتهاكات متكررة للمقدسات الدينية بشكل عام، في حين تتميز الانتهاكات التي تمس بالمقدسات الإسلامية بكونها ممنهجة وشاملة للعديد من الأصعدة، وهذا ما يُفسر التحامل الغربي على الدين الإسلامي، متجاهلةً للانعكاسات الخطيرة التي تترتب عن ذلك طالما ساهمت هذه الانعكاسات في تعزيز الكراهية للإسلام -الإسلاموفوبيا- في المجتمعات الغربية، وهو ما يستدعي ضرورة التصدي لمثل هذه الحملات على المستوى الحكومي الرسمي، الأمر الذي يحقق الحد

من الانتهاكات للمقدسات الإسلامية من جهة، وكذا توقيف ردود الأفعال الشعبية الغاضبة والعنيفة من جهة ثانية.

وعليه ستحاول هذه الورقة البحثية الإجابة على الإشكالية التالية: ما هي الآليات السياسية الكفيلة للحد من الانتهاكات للمقدسات الإسلامية؟

وللإجابة على هذه الإشكالية تم اعتماد المحاور التالية:

1. مفهوم المقدسات الدينية.
2. مظاهر الاساءة للمقدسات الإسلامية.
3. الأطر القانونية لحماية المقدسات الدينية.
4. نحو تفعيل الاحترام المتبادل للمقدسات الدينية.

1 مفهوم المقدسات الدينية

تحتل المقدسات الدينية بأهمية كبيرة لدى مختلف المجتمعات الإنسانية، باعتبارها تمثل قيم الدين الذي يكفل التلاحم المجتمعي والقيم الانسانية التي تقوم على التسامح، التضامن، السلام والاستقرار...، ومن هنا يسعى الأفراد لتعزيز العقيدة والأخلاق التي ترتبط بالدين، ومن هنا تتأتى أهمية المقدسات الدينية التي تمثل التراث الروحي والثقافي والحضاري للمجتمع، كما أنها تحظى بقيم روحية عالية، الأمر الذي يمنحها مكانة في الوعي الجمعي للأفراد.

1.1 تعريف المقدسات الدينية

في الأصل اللغوي فإن مصطلح المقدس هو من الأصل قدس تقديساً، والتقديس تنزيه الله، وفي التهذيب القدس، تنزيه الله، وهوالمقدس والقدوس، ويُقال القدوس فعول من القدس أي الطهارة... والتقديس هي التطهير والتبريك، وقد ورد المصطلح في القرآن الكريم في قوله ((وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ

وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ¹، أين تعني نُقدس لك أن نطهر أنفسنا لك وكذلك نفعل بمن أطاعك، وبذلك تعني الأرض المقدسة أي الطاهرة والمباركة².

وفي اللاتينية تعني كلمة مقدس "Sacer" وظيفة الكاهن، وتُعادل كلمة حرام في اللغة العربية، هذه الأخيرة تحمل وجهين، فهي من جهة تُحيل إلى مفهوم المحذور أو نقيض الحلال، إلا أنها تُحيل أيضاً إلى الأماكن المقدسة من قبيل المسجد الحرام، والبيت الحرام، وكذا الشهر الحرام، وعليه يرتبط المقدس بكل ما له علاقة بالآلهة والدين، فكل ديانة لديها مقدسات سواء كانت: أماكن، أسماء، طقوس وعبادات...³.

كما يمكن تحديد المقدسات الدينية استناداً للضوابط التي اتفقت عليها الدول الإسلامية في إطار تجريم ازدراء الأديان والإساءة للمقدسات الدينية، وعليه فإن المقدسات الدينية وفق هذا الطرح تتمثل في التالي:⁴

- الذات الإلهية.
- الشخصيات الاعتبارية كالأنبياء والرسل.
- المعتقدات الدينية والكتب المقدسة.

2.1 مفهوم الإساءة للمقدسات الدينية

ترتبط الإساءة للمقدسات الدينية بمفهوم حرية التعبير، وهو الأمر الذي يطرح إشكالات عديدة تتمحور حول حدود حرية التعبير بما لا يتداخل مع الإساءة للمقدسات الدينية.

ويعتبر خط التماس بين الأديان وحرية الإبداع الأدبي والفني هو أشد مجالات التوتر في العلاقة بين الأديان والمجتمعات، حيث أن معظم التوترات تندرج ضمن هذا الخط، سواء على المستوى الداخلي للمجتمعات الإسلامية أو على المستوى الدولي بين الدول الإسلامية والدول الغربية، والأمر الذي يُعزز من حدة التوتر هو ازدواجية المعايير لدى الدول الغربية في تبريرها للإساءة

للمقدسات الإسلامية من منطلق الحرية التعبير، في حين تُقر حدوداً صارمة على أي إساءة لرموز الديانة اليهودية تحت مبرر الحد من معاداة السامية⁵.

وتنص المادة 19 من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية كالتالي:

المادة 19

1. لكل إنسان حق في اعتناق آراء دون مضايقة.

2. لكل إنسان حق في حرية التعبير. ويشمل هذا الحق حريته في التماس مختلف ضروب المعلومات والأفكار وتلقيها ونقلها إلى آخرين دونما اعتبار للحدود، سواء على شكل مكتوب أو مطبوع أو في قالب فني أو بأية وسيلة أخرى يختارها.

3. تستتبع ممارسة الحقوق المنصوص عليها في الفقرة 2 من هذه المادة واجبات ومسؤوليات خاصة. وعلى ذلك يجوز إخضاعها لبعض القيود ولكن شريطة أن تكون محددة بنص القانون وأن تكون ضرورية:

أ. لاحترام حقوق الآخرين أو سمعتهم.

ب. لحماية الأمن القومي أو النظام العام أو الصحة العامة أو الآداب العامة.

وبالرغم أن حرية التعبير هي حق من حقوق الإنسان التي يكفلها العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، إلا أنه يُقيدها بواجبات ومسؤوليات، وهو ما يجعل مبرر الدول الغربية للإساءة للمقدسات الإسلامية واهياً، حيث تنص المادة 19 من العهد على الحق المكفول لحرية التعبير في الفقرة الثانية، في حين تُقر الفقرة الثالثة على ضرورة استتباع حرية التعبير لواجبات ومسؤوليات خاصة، بحيث يمكن تقييد حرية التعبير بشرط الاستناد لنصوص قانونية، وبهدف حماية حقوق الآخرين أو حماية الأمن القومي، ويندرج تقييد حرية التعبير في مجالات الإساءة للأديان في هذا البند بحيث أنه يهدف لضمان احترام حقوق الآخرين وسمعتهم⁶.

وتُعرف الإساءة للمقدسات الدينية في علم اللاهوت باعتبارها النقد المباشر لله أو الأشياء المقدسة، أما التعريف القانوني فقد عرف تطوراً نظراً لغلبة البعد السياسي أكثر من الديني، باعتبار أن القانون يهدف لحماية الدولة ومؤسساتها فقط، وعليه فإن تحديد الإساءة يرتبط بتقديرات الدولة حول ضرورة حماية الأساس الأيديولوجي للمجتمع⁷.

وانطلاقاً من ضبط مفهوم المقدسات الدينية والإساءة لها، فإن الإساءة للمقدسات الإسلامية من قبل الدول الغربية تأخذ مظاهر متعددة، وهو ما يُحيل إلى التحامل المقصود على الدين الإسلامي.

2. مظاهر الإساءة للمقدسات الإسلامية

إن الإساءة الغربية للمقدسات الإسلامية تصدر في الغالب من أربعة فئات رئيسية، تحتل مكانة كبيرة في مجتمعاتها خاصة أمام محدودية الرأي المحايد والعقلاني، وتتمثل هاته الفئات المسيئة في:⁸

- رموز بعض الكنائس الأوروبية والأمريكية الكبرى.
- قادة العديد من دول أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية.
- وسائل الإعلام الغربية بشتى أصنافها.
- الرموز الفكرية للتيارات العلمانية.

وخلافاً للدول الإسلامية فإن الدول الغربية لا تجد بُدّاً لتجريم الإساءة للأديان، ومن بينها الدين المسيحي، حيث تستند في موقفها هذا لقرار المحكمة الأوروبية والذي يرفض مصطلح الضبط القانوني للإساءة للأديان، باعتبار هذه الأخيرة عاملاً متغيراً على أساس زمني فهي تشهد تزايداً مع مرور الوقت، وتقر المحكمة مفهوم الإساءة غير المبررة من أجل الحد من حرية التعبير، ومن هنا تنظر في التعبير المتعلق بالدين من خلال كونه تطرفاً، تحريضاً أو إساءة، وفي المقابل فإنها تدعوا

بضرورة تقبل الغير والاختلاف الذي قد يصل لدرجة الإساءة، وهو ما يجعل من مفهوم الإساءة للمقدسات الدينية مفهوماً ضبابياً يحتمل العديد من التأويلات⁹.

إن الإساءة للمقدسات الإسلامية من قبل الغرب هي نتاج لمسألة التحيز الفكري الذي يطبع الحضارة الغربية، فبالرغم من الاستفادة الكبيرة التي حققتها من الانتاج العلمي للحضارة الإسلامية، إلا أنها تغفل ذلك على المستوى الاعلامي مركزةً على الاخفاقات التي تعيشها بعض المناطق في العالم الإسلامي، وتتخذ الإساءة للمقدسات الاسلامية العديد من المظاهر:

1.2 الإساءة المرتبطة برموز الدين المسيحي

ترتبط الإساءة للمقدسات الإسلامية بالعديد من الكنائس ورجال الدين المسيحي في أوروبا وأمريكا، حيث تتضمن بعض الكنائس رسومات ومنحوتات تُسيء لرموز الدين الإسلامي، وهو الأمر الذي يُميز الديانة المسيحية عن غيرها من الديانات والعقائد، من حيث إساءتها لديانة أخرى وبطريقة فجأة، ووصل الأمر إلى درجة الهجوم الصريح لبابا الفاتيكان "بينديكت 16" على نبي الإسلام ﷺ، خلال محاضرة حول الإيمان والمنطق، في ألمانيا يوم 12 ديسمبر 2006¹⁰.

2.2 الإساءة المرتبطة بالمواقف السياسية الغربية

تعددت الإساءات لرموز الدين الإسلامي على مستوى المواقف السياسية للعديد من قادة الدول الغربية، وهو ما يستفز مشاعر الملايين من المسلمين عبر العالم، ومتخذين من العلمانية وحرية التعبير ذريعة لهذه الإساءات المقصودة، ونجد من بينها:¹¹

1.2.2 الرئيس الفرنسي السابق "ساركوزي": والذي هاجم الحجاب حين كان وزيراً

للداخلية، تحت ذريعة أن علمانية الدول تتناقض مع الرموز الدينية، على الرغم من السماح لرموز المسيحية أو اليهودية دون التعرض لها، ووصل الأمر لتجريم ارتداء النقاب.

2.2.2 ملكة الدانمارك "مارغريت 2": في مذكراتها لعام 2005، أكدت على خطر

الإسلام في العالم وضرورة التصدي له بحزم.

3.2.2 الرئيس الأمريكي "جورج بوش الابن": إلتقى في 2007 عدداً من المذيعين الأمريكيين المحافظين والمعروفين بمحجمهم على الإسلام وانتقادهم للحكومات العربية.

4.2.2 ملكة بريطانيا "إليزابيث 2": منحت في 2007 "سلمان رشدي" صاحب أحد الكتب المسيئة للإسلام لقب "سير"، باعتباره وسام تشريف، يمنح في العادة لتقدير بعض الشخصيات على إنجازاتها.

5.2.2 المستشارة الألمانية "أنجيلا ميركل": قامت بتكريم الرسام الدانمركي صاحب الرسوم الكاريكاتيرية المسيئة للنبي محمد ﷺ بتسليمه جائزة حرية الصحافة في ختام ندوة دولية حول وسائل الإعلام في برلين عام 2010.

6.2.2 الرئيس الفرنسي "إيمانويل ماكرون": والذي صرح عام 2020 بأن الإسلام يعيش في أزمة حول العالم، ومن ثم فقد كان رد فعله جد مستفز خلال تأيينية الأستاذ الذي تم قتله عقب عرضه لرسوم مسيئة للنبي ﷺ على تلاميذه، حيث أشاد بالأستاذ وتصرفاته التي اعتبرها تمثل قيم الجمهورية الفرنسية، كما قام بإعادة عرض الرسوم المسيئة في أحد الساحات العمومية تحت تشديد أمني كبير.

3.2 الفن، الفكر والإعلام

لعبت مؤسسات الفكر الغربي دوراً كبيراً في تكريس الصورة النمطية السلبية عن الإسلام والمسلمين في الوعي الجمعي للمجتمعات الغربية، حيث اعتمدت على العديد من المؤسسات الوسائط كالتالي:

1.3.2 الفن: لطالما تضمن الإبداع الفني الغربي إساءات مُمنهجة للمقدسات الإسلامية، بداية من أحد المسرحيات الشهيرة لـ: "موليير" والتي تضمنت إساءة واضحة لنبي الإسلام صلى الله عليه وسلم، من خلال وصفه بالتعصب وعدم الإنسانية، وُصُولاً للسينما الغربية وخاصة الأمريكية باعتبارها تحتل الصدارة كما تتميز بمؤهلات فنية عالية في مجال الإخراج والتصوير وكذا استخدام التقنيات المعاصرة، الأمر يتم استغلالها وتحويلها خدمةً لأهداف واضحة، حيث أنها

تحرص على تقديم المسلم والإسلام في أسوأ حالاته من خلال ربطه بالجهل، التخلف، التعصب، العنف والإرهاب...، علماً أغلب هذه الانتاجات السينمائية تتم بتمويل من لوبيات يهودية نافذة مع تجاهل بعض التواطؤ من العرب الذين يُقبلون على عرض هذه الانتاجات دون تمحيص، وهو ما يساهم في تعزيز ظاهرة الإسلاموفوبيا وعداء المجتمعات الغربية للإسلام وللمقدسات¹².

2.3.2 المفكرون والكتابات المسيئة: ساهم العديد من المفكرين الغرب في التنظير لخطاب الكراهية تجاه الإسلام، وأبرزهم "صامويل هينتينغتون" الذي كرس لمسألة استحالة قيام الديمقراطية في الدول الإسلامية، نظراً لخصوصية الإسلام الذي يُكرس للعنف، هذا إلى جانب العديد من الكتاب الغربيين الذين خصصوا كتاباتهم للإساءة للإسلام ومقدساته، كما عمد الغرب لتعزيز استراتيجيته إلى استقطاب للمهاجرين الذين يتولون حملات الإساءة للإسلام، والذي يكونون في الغالب مفكرين مغمورين طالبن للشهرة واللجوء لدى الغرب، حيث يكونون إما مرتدين عن الدين الإسلامي، أو أصحاب أفكار جد متحررة، من قبيل الهندي "سلمان رشدي" أو البنجالية "تسليمة نسرين"، كما يعتمد الغرب على إتاحة الفرصة أمام المرتدين للتعبير عن مآخذهم حول الإسلام من أجل تشويهه¹³.

كما ساهم المستشرقون في كتاباتهم التي جاء معظمها في شكل دراسات وأبحاث وتحقيقات حول قضايا إسلامية، منذ العصور الوسطى في تقديم صورة مشوهة عن الإسلام، وهذا بهدف حماية حدود الديانة المسيحية والحد من انتشار الدين الإسلامي في أوساطها، وكما سعت لترسيخ الأهداف الاستعمارية لدى الغرب في المنطقة العربية والإسلامية، واستطاعت التغلغل في الوعي الجمعي الغربي، حيث لا زالت تبعاتها واضحة في مشاعر الكراهية للإسلام¹⁴.

3.3.2 الإعلام: تبنت العديد من وسائل الإعلام الغربية حملات الإساءة إلى الرموز الإسلامية، حيث كثرت الرسوم الكاريكاتورية التي تُسيء بني الإسلام ﷺ، إلى جانب المقالات التي تسيء لرموز الإسلام وكذا المنادين بتفعيل الحوار وتوضيح سوء الفهم لدى البعض¹⁵، ولعل أحداث 11 سبتمبر 2001 مثلت حدثاً مفصلياً في تبني الإعلام الغربي لخطاب الكراهية ضد كل ما له علاقة بالإسلام، حيث ساهم الإعلام الغربي في إشاعة مشاعر الخوف من الإسلام لدى

المجتمع الغربي، أين استغل هذه الأحداث لجعل منها أمودجاً واضحاً عن أطروحة صراع الحضارات لـ"صامويل هنتنغتون"، ليتعزز هذا الطرح جراء التركيز الإعلامي الغربي على العمليات الإرهابية التي تتبناها الجماعات المتطرفة المحسوبة على الإسلام، كما أصبح الإعلام الغربي منصةً للمتطرفين الغربيين والذي يعبرون صراحة عن هجومهم ضد الإسلام ومقدساته¹⁶.

3. الأطر القانونية لحماية المقدسات الدينية

إن التغاضي عن الإساءات المتكررة لرموز الدين الإسلامي من شأنها أن تُكرس لتمادي الطرف الغربي المسيء باعتماده على منطلق ضعف الدول الإسلامية من جهة، كما أنها تزيد من حالة الاحتقان لدى الشعوب المسلمة التي ترفض اللامبالاة من حكوماتها من جهة ثانية، وعليه وأمام هذه الأضرار المركبة للإساءات فإنه ينبغي على الحكومات التعامل بعقلانية وحزم معها، حيث تتعدد آليات التدخل للحد من الإساءات للمقدسات الإسلامية وهذا بما يكفلها القانون.

1.3 بيانات الشجب والإنكار

غالباً ما تلجأ الهيئات الرسمية لاستنكار الإساءة للمقدسات الدينية والتي ترى فيها تجاوزاً خطيراً لحرية التعبير بحيث أنها تصل لحد المساس بالجوانب الروحية لكل من يعتقدون بالديانة التي تم المساس بها أو بأحد رموزها، وهو ما انتهجته عديد الدول الإسلامية عقب حملة الإساءة التي تعرض لها الرسول الكريم ﷺ من قبل فرنسا، والتي وصلت في بعض الأحيان إلى درجة المساس بالعلاقات الدولية بين بعض الدول على غرار تركيا التي أصبحت تعرف علاقات غير مستقرة مع فرنسا.

بالرغم من أهمية هذا الإجراء من حيث كونه يُحيل إلى الموقف الصريح للدول التي تشجب وتستنكر، غير أن السؤال الذي يطرح نفسه هو الجدوى من الشجب والاستنكار، وهو ما يميز العديد من الدول العربية وكذا جامعة الدول العربية، في حين أن النتائج الفعلية بقيت محدودةً إن لم نقل مُنعدمةً، أمام الاستمرار الصارخ للاعتداءات على المقدسات الإسلامية.

2.3 طرح مسألة عدم المساس بالأديان في المحافل الدولية:

وهذا من أجل السعي لاستصدار قرارات صريحة تُدين وتُجرم الإساءة للأديان، للحد من كراهية الأجانب والتمييز العرقي والديني، ومن هذا المنطلق أوصى مؤتمر مكة السابع الذي نظمته رابطة العالم الإسلامي في بيانه الختامي بإنشاء هيئة استشارية من المختصين في القانون الدولي، وتتولى مهام المتابعات القانونية للإساءات للإسلام ومقدساته، وهذا أمام المحاكم المختصة في الدول الغربية وكذا أمام المحاكم الدولية¹⁷.

ويهدف هذا الإجراء لإيجاد مرجعية دولية يتم الاحتكام لها في حال حدوث الإساءة للمقدسات الدينية، وهو ما يجعل من الدول المعتدية غير مُتعاونة مع مثل هذه المبادرات، وهنا نجد حق الفيتو الذي لطالما يتم استخدامه من قبل الدول العظمى إذا ما تعلق الأمر بإدانة الكيان الصهيوني الذي ما فتئ يعتدي على المقدسات الإسلامية والمسلمين في الأراضي المحتلة الفلسطينية.

3.3 استدعاء السفراء للتعبير عن رفض الإساءة إلى المقدسات:

وهو إجراء معروف في الدبلوماسية والعلاقات الدولية، وهو يتم وفق أعراف وتقاليد دبلوماسية متعارف عليها¹⁸ وتُوحى بالاستياء لدى الدولة المضيفة حول تصريحات أو إجراءات قامت بها دولة السفير الأصلية، وهو ما طبقته كل باكستان وإيران وتونس من خلال استدعائها للسفير الفرنسي لديها الذي سلمته رسالة احتجاج شديدة اللهجة، ترفض فيها دعم الحكومة الفرنسية للإساءة للمقدسات الإسلامية، وهو يمثل أبسط إجراء قد تتخذه الهيئات الرسمية للتعبير عن موقفها الراض للإساءة للمقدسات الإسلامية.

وفي المقابل يمكن للدولة استدعاء سفيرها في وإنهاء مهمته للتعبير عن الاحتجاج تجاه أي سلوك غير مرغوب فيه، وهو ما يُعبر عن تدهور العلاقات الدبلوماسية بين البلدين¹⁹، ومن هنا يمكن اعتبار الإساءة للمقدسات الإسلامية سلوكاً يستدعي سحب السفير تمهيداً لقطع العلاقات الدبلوماسية خاصةً إذا تكررت الإساءة وتمادت الحكومات الغربية في تشجيعها عبر السماح بها في أراضيها وكذا عبر تقديم المبررات الجاهزة.

4. نحو تفعيل الاحترام المتبادل للمقدسات الدينية.

إن الاختصار على المؤتمرات التي تُكرس لمفهوم حوار الحضارات يبق غير مُجدٍ، باعتبارها تستهدف فئات نخوية محدودة، بحيث أنها لا تتمكن من التغلغل لجموع الجماهير المشبعة بثقافة مغلوبة تقوم على الإساءة للمقدسات الإسلامية، وعلى ضوء ذلك ينبغي العمل على أكثر من صعيد من أجل ضمان إرساء الاحترام المتبادل بين الأديان.

1.4 إبراز حقيقة الدين الإسلامي:

إن الرد الفعلي على حملات الإساءة والتشويه لرموز الدين الإسلامي لا ينبغي أن تنصرف في مجملها نحو الشجب والإدانة والرفض وكذا الاحتجاجات والعنف... لأنها ستسبب في تعزيز الرفض من الآخر وهو ما من شأنه الاستمرار في الإساءة، وعليه ينبغي توضيح الرؤية لدى الآخر وإبراز مكامن الخطأ لديه في الحكم على رموز الدين الإسلامي وهذا يتحقق بناءً على إبراز حقيقة الدين الإسلامي السمحة وكذا إنسانية تعاليمه، وهذا من خلال العديد من الآليات:

1.1.4 تفعيل دور مؤسسات المجتمع المدني: وهذا من أجل الارتقاء في أدائها على المستوى

الدولي، لتتولى مهمة التنسيق بين الدول والمفكرين وبين الشعوب من خلال الحملات الإعلامية المؤثرة، للإبراز الإساءة وكذا آثارها على الأفراد، إلى جانب إبراز حقيقة الدين وتعاليمه السمحة²⁰.

2.1.4 استقطاب العقلاء من المثقفين والمؤثرين الغربيين: والذين يتميزون بأفكار مُستنيرة

بعيدة عن التطرف، ويرفضون الإساءة للديانات، وهذا من خلال دعمهم والتحاور معهم عبر مختلف المنصات التأثيرية في الإعلام بشتى أنواعه، مع التركيز على الإعلام البديل الذي يقوم على شبكات التواصل الاجتماعي²¹.

3.1.4 الاهتمام بالمضامين الإعلامية الموجهة للغرب: وهذا من خلال برامج ومؤلفات

وثائقية، وحتى فنية تكون باللغات الأجنبية، إلى جانب الاهتمام بمشاريع الترجمة من أجل استقطاب شرائح أكبر والتغلغل داخل المجتمعات الغربية.

4.1.4 إقامة ملتقيات علمية وفكرية للرد الموضوعي على حملة الإساءات: والتي تتيح الرد

الوافي على المشككين والمسيئين بأدلة وبراهين علمية وموضوعية بعيدة عن الصخب والتجاوزات، كما يمكن إقامة المعارض بشتى انواعها في الدول الغربية والتي تُعتبر منصةً ملائمة لاستقطاب الجمهور الغربي وتنويره بخصوصية الدين الإسلامي²².

5.1.4 الحد من ردود الأفعال الغاضبة والمتطرفة: حيث أن ردود أفعال المسلمين على

الإساءة الغربية للمقدسات الإسلامية ينبغي أن لا تكون بالقتل والحرق والتخريب ... إلى غيرها من الأفعال التي لا تمت للدين الإسلامي بصلة، ولا للعقل أو المنطق وكذا القيم والمبادئ الإنسانية، لأن هذه الردود المتطرفة والعنيفة تمثل تطلعات المسيئين أنفسهم لتأكيد إساءتهم للإسلام والمسلمين، ومن هنا ينبغي تعزيز حلقات الحوار والنقاش القائم علة التوضيح والتفسير في سبيل إيصال رسالة الإسلام الحقيقية لكل ما يجهلها²³.

2.4 الردود القوية والصارمة:

إن الاستمرار في تبني الخيارات السلمية التي تقوم على وتوضيح إنسانية الدين الإسلامي من شأنها أن تُفهم لدى البعض بالضعف والاستكانة، وهو ما ينبغي الانتباه له، وعليه فإن الردود الصارمة تكون ذات جدوى بحكم تأكيدها على رفض الظلم والاعتداء على المقدسات، ومن بين مظاهر الصرامة نجد:

1.2.4 توحيد الجهود الدبلوماسية لإدانة المساس بالمقدسات: بدءاً بالبيانات العامة عبر

الهيئات الإقليمية والدولية، وُصولاً إلى استدعاء السفراء وحتى طرد البعثات الدبلوماسية إذا استدعى الأمر ذلك، ليصل إلى درجة التهديد بقطع العلاقات الدبلوماسية²⁴.

2.2.4 منع تداول ونشر الإساءات: ينبغي على الحكومات الإسلامية أن تتعامل بصرامة

وحزم مع مسألة تداول الإساءة للمقدسات الإسلامية أو إعادة نشرها، لما من شأنه تأجيج مشاعر المسلمين من جهة، كما أنها تساهم في تعزيز أعداد المسيئين، ففي الغالب تكون هذه الإساءات على مستوى محدود بحيث يقل تأثيرها على المتلقين، بينما عقب نشرها وتداولها الذي

يرتبط حتماً بحملات غاضبة من جموع المسلمين التي قد تقتزن بالتخريب والعنف والحرق...، وهو ما يشجع الجمهور الغربي على إعادة مشاهدة هذه الإساءات مع ربطها بردود الفعل وهو ما يكون لديهم غير منطقي -وهذا أمر طبيعي-، وهو ما يعزز من موجات الإسلاموفوبيا في المجتمعات الغربية.

3.2.4 المقاطعة الاقتصادية: تُعتبر المقاطعة طريقة شعبية للتعبير عن الاحتجاج أو الرفض لسلوك الدول، عبر الامتناع عن استخدام أو شراء منتجاتها أو خدماتها، ونظراً لكون معظم دول العالم موقعة على الاتفاقية العامة للتعريف الجمركية والتجارة "GATT"، فإن الدول الغربية المعنية بالمقاطعة سوف تلجأ حتماً للتحكيم الدولي، إلى جانب الدعم الذي تتلقاه الدول الغربية فيما بينها، الأمر الذي يستدعي بالدول الإسلامية أن تُكرس للمقاطعة بطريقة غير مباشرة، وهذا يتحقق عبر تعزيز الاتفاقيات الثنائية والإقليمية بين الدول الإسلامية²⁵.

3.4 تفعيل الهيئات الدولية والاتفاقيات الدولية: وهذا من خلال عدة اجراءات:

1.3.4 ضرورة إيجاد صيغة دولية تحد من الانتهاك الصارخ للمقدسات الدينية بشكل عام، بحيث تضبط مجال حرية التعبير بما يخلق المجال أمام المسيئين والذين يتخذونه ذريعة لتمييز الإساءة، وهذا ما يستدعي بالدول الإسلامية تقديم عرائض ومطالبات مستمرة في كل المحافل الدولية وكلما سمحت الفرصة بذلك، لأن الدول الغربية رافضة تماماً لذلك وهو ما يجعل الطريق طويلةً إلى حين اقتناص الفرصة السانحة لذلك.

2.3.4 إعادة تعريف الإرهاب الدولي: فمن جهة ينبغي إلغاء الربط بين الإرهاب والإسلام، وهذا بإدراج مظاهر الإرهاب المعاصر من إرهاب تمارسه حركات دينية متطرفة وكذا إرهاب الدول...، ومن جهة أخرى يجب التنويه لخصوصية الحركات الإرهابية المتطرفة في الدول الإسلامية، والتي لعب الغرب دوراً كبيراً في انتشارها، وساهم في انتعاش الفكر الجهادي المتطرف، وهو ما يظهر مثلاً في التفاوض الفرنسي مع الحركات الإرهابية المتطرفة في منطقة الساحل والتي أسفرت عن الرضوخ الفرنسي لمطالبها مقابل الإفراج عن الرهائن الفرنسيين.

الخاتمة:

وفي الأخير فإن حملات الإساءة للمقدسات الإسلامية من قبل الغرب تندرج ضمن أعمال مُمنهجة ومتعمدة تهدف لترسيخ الصورة النمطية حول تخلف المجتمع الإسلامي لدى الوعي الجمعي الغربي، حيث يتخذ الغرب من الإساءة إلى المقدسات الإسلامية الآلية المتاحة لديهم للرد على انتشار الإسلام في العالم منذ بداية الرسالة المحمدية.

إن مواجهة حملات الإساءة الممنهجة على المقدسات الإسلامية ينبغي أن تتم هي الأخرى بشكل مقصود وهادف وبعيد عن ردود الفعل الغاضبة والمحدودة زماناً، بحيث ينبغي أن تكون شاملة على جميع الأصعدة: السياسية، الاقتصادية، الفكرية والفنية، والإعلامية....، وضرورة تجاوز الخطاب السلبي الذي ينم عن الضعف والاستكانة، والذي يقتصر على السعي نحو التعريف بالخصال المحمدية والقيم الإسلامية السمحة، فهي وإن كانت ذات أهمية إلا أنها تبقى غير كافية أمام الحملة الشعواء التي يتعرض لها العالم الإسلامي.

إن الانتهاكات المستمرة للمقدسات الإسلامية ما هي إلا انعكاس على تشتت العالم الإسلامي واستسلامه للنعرات الداخلية التي تُعزز من ضعفه أكثر فأكثر أمام تعاضم قوة الغرب، وعليه فإن التطاول الغربي على المقدسات الإسلامية ينبع من الدونية التي ينظرون لنا بها، الأمر الذي يستدعي أكثر من أي وقت مضى ضرورة تكاتف الدول الإسلامية بإرادة جادة من أجل تشكيل كيانات إقليمية تُحقق التكامل بينها، وهو ما يمنحها قوةً اعتباريةً تقوم على التخلص من التدخلات الغربية، مما يحد من التطاول على المقدسات الإسلامية.

المصادر والمراجع:

الكتب:

1. سعد طه، رجب وآخرون، الأديان وحرية التعبير إشكالية الحرية في مجتمعات مختلفة. القاهرة: مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، 2007.
 2. السعدون، محمد ثامر، القانون الدولي وحظر التعصب الديني. القاهرة: المركز العربي للنشر والتوزيع، 2017.
 3. سماكي، إسحاق بن عبد الله، الإساءة إلى الأنبياء عليهم السلام وأساليب التعامل معها في ضوء القرآن الكريم. الرياض: مدار الوطن للنشر، 2013.
 4. صلاح شاكر، إياد، ظاهرة الخوف من الإسلام (الاسلاموفوبيا) في الغرب أسبابها مظاهرها نتائجها. بيروت: دار الكتب العلمية، 2019.
 5. المجالات:
 6. سعيدي، محمد، "المقدس، مفهومه وتجلياته"، مجلة الآداب واللغات، العدد 8، ديسمبر 2005.
 7. يوسف، محمد، "مقاطعة السلع الأوروبية في ضوء القانون التجاري الدولي والتشريع الإسلامي - دراسة حالة الرسوم المسيئة للرسول ﷺ -"، مجلة دراسات في التنمية والمجتمع، جامعة الشلف، ديسمبر 2016، المجلد 3، العدد 6.
 8. خفاجي، باسم، لماذا يكرهونه؟ الأصول الفكرية لموقف الغرب من نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم. الرياض: مجلة البيان، 2006.
- ### الملتقيات:

1. بلخيري، رضوان، "تجليات صورة المسلم في وسائل الإعلام الأمريكية - دراسة تحليلية سيميولوجية لعينة من الأفلام السينمائية -"، المؤتمر الدولي الأول لمركز البحوث والاستشارات الاجتماعية حول موضوعات العلوم الاجتماعية والانسانية في العالم الإسلامي، جامعة لندن، 28-30 ماي 2012.

التقارير:

1. الأمم المتحدة، "العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية"، قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة المؤرخ في 16 ديسمبر 1966.

2. المحاضرات:

3. الدباس، مايا و ملندي، ماهر، "العلاقات الدبلوماسية والتقنصلية"، مشورات الجامعة الافتراضية السورية، دمشق، 2018.

4. المصادر الالكترونية:

5. بوزيد إسماعيل، "جدلية المقدس والديني"، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، 14 ديسمبر 2019، على الرابط: <http://caneddir.com/3IfY>

6. سعد الدين، عصام، "الإساءة للمقدسات الإسلامية.. منهجية الغرب وأهدافه"، شبكة الألوكة، 2007/11/21، على الرابط: [/https://www.alukah.net/sharia/0/1539](https://www.alukah.net/sharia/0/1539)

7. سعد الدين، ياسر، "الإساءة للإسلام ومواقف غربية رسمية"، الجزيرة نت، 2012/09/21، على الرابط: <http://caneddir.com/2t7s>

الهوامش:

- ¹ - سورة البقرة، الآية 30.
- ² - محمد سعيدي، "المقدس، مفهومه وتجلياته"، مجلة الآداب واللغات، العدد 8، ديسمبر 2005، ص 13.
- ³ - إسماعيل بوزيد، "جدلية المقدس والديني"، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، 14 ديسمبر 2019، على الرابط: <http://caneddir.com/3IfY>
- ⁴ - محمد ثامر السعدون، القانون الدولي وحظر التعصب الديني. القاهرة: المركز العربي للنشر والتوزيع، 2017، ص 90-91.
- ⁵ - رجب سعد طه وآخرون، الأديان وحرية التعبير إشكالية الحرية في مجتمعات مختلفة. القاهرة: مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، 2007، ص 25.
- ⁶ - الأمم المتحدة، "العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية"، قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة المؤرخ في 16 ديسمبر 1966، المادة 19، ص 10.
- ⁷ - محمد ثامر السعدون، مرجع سبق ذكره، ص 84.
- ⁸ - باسم خفاجي، لماذا يكرهونه؟ الأصول الفكرية لموقف الغرب من نبي الإسلام ﷺ. الرياض: مجلة البيان، 2006، ص 32.
- ⁹ - محمد ثامر السعدون، مرجع سبق ذكره، ص 92.
- ¹⁰ - باسم خفاجي، مرجع سبق ذكره، ص ص 33-39.
- ¹¹ - ياسر سعد الدين، "الإساءة للإسلام ومواقف غربية رسمية"، الجزيرة نت، 2012/09/21، على الرابط: <http://caneddir.com/2t7s>
- ¹² - رضوان بلخيري، "تجليات صورة المسلم في وسائل الإعلام الأمريكية -دراسة تحليلية سيميولوجية لعينة من الأفلام السينمائية-"، المؤتمر الدولي الأول لمركز البحوث والاستشارات الاجتماعية حول موضوعات العلوم الاجتماعية والانسانية في العالم الإسلامي، جامعة لندن، 28-30 ماي 2012، ص 156.
- ¹³ - عصام زيدان، "الإساءة للمقدسات الإسلامية.. منهجية الغرب وأهدافه"، شبكة الألوكة، 2007/11/21، على الرابط: <https://www.alukah.net/sharia/0/1539>
- ¹⁴ - إياد صلاح شاك، ظاهرة الخوف من الإسلام (الاسلاموفوبيا) في الغرب أسبابها مظاهرها نتائجها. بيروت: دار الكتب العلمية، 2019، ص 100.
- ¹⁵ - باسم خفاجي، مرجع سبق ذكره، ص 37.
- ¹⁶ - إياد صلاح شاك، مرجع سبق ذكره، ص 58.
- ¹⁷ - إسحاق بن عبد الله سماكي، الإساءة إلى الأنبياء عليهم السلام وأساليب التعامل معها في ضوء القرآن الكريم. الرياض: مدار الوطن للنشر، 2013، ص 221.
- ¹⁸ - بموجب العرف الدبلوماسي فإن "الفسلأ عاعلئسالتلعبير عن استياء الدولة المضيفة لسياسات دولة السفير الضيف، يذلأو قفو نوكد عايتسلأ مغيلئلأ يرفسلأ عاعلئساف ميلعو، هاروطأ لئسو قئئلئلأ تناقلألا تشقلأ فدلئلأ نئأ عايتسلأ نء فئلئلأ لئلأ لئسس لئلعف ءدلمح قئسامولألد فارعأو لئلألقء

- قد يكون الاستدعاء معلناً أو غير معلن وهذا حسب الحاجة، علماً أن إعلان الاستدعاء في وسائل الإعلام يكون بهدف توجيه رسائل غير مباشرة للشعب في الداخل.
 - تعتمد بعض الدول الفرنكوفونية على تبنى لغة خطاب تخلو من صيغ المجاملة، كأن يُخاطب السفير بصيغة المخاطب المفرد "أنت" بالرغم أنه يمثل دولته وليس شخصه.
 - يعتمد الروس على طرق خاصة كأن يُستدعى السفير في غرفة بطروف غير مناسبة كأن تكون شديدة البرودة، ويكون الاستقبال بلامح تُعبر عن الاستياء الشديد.
 - تبنى سمات الجدية وعدم الابتسام أمام السفير المستدعى، واستقباله في قاعة متواضعة، وقراءة موقف الدولة من ورقة مكتوبة بما يوحي الجدية والاستياء.
- ويكون رد السفير على الانتقادات إما بتوضيح موقف بلاده، الرضا الصريح للانتقادات، الاعتذار عن ما بدر من دولته أو الاكتفاء بتسجيل التحفظ ونقله لحكومة بلاده. (إرجع إلى: نواف شاذل طاقة، "الاستدعاء في العرف الدبلوماسي"، جريدة الزمان، بغداد، 26 أوت 2019، على الرابط: <http://caneddir.com/50Og>).
- ¹⁹ - مايا الدباس وماهر ملندي، "العلاقات الدبلوماسية والقنصلية"، منشورات الجامعة الافتراضية السورية، دمشق، 2018، ص 95.
- ²⁰ - باسم خفاجي، مرجع سبق ذكره، ص 111.
- ²¹ - رضوان بلخيري، مرجع سبق ذكره، ص 167.
- ²² - إسحاق بن عبد الله سماكي، مرجع سبق ذكره، ص 225.
- ²³ - رضوان بلخيري، مرجع سبق ذكره، ص 167.
- ²⁴ - باسم خفاجي، مرجع سبق ذكره، ص 111.
- ²⁵ - مُجد يوسف، "مقاطعة السلع الأوروبية في ضوء القانون التجاري الدولي والتشريع الإسلامي -دراسة حالة الرسوم المسيئة للرسول ﷺ-"، مجلة دراسات في التنمية والمجتمع، جامعة الشلف، ديسمبر 2016، المجلد 3، العدد 6، ص - ص 166-160.

